(٧٢)

"باقة زهور"

هدموا منازل الحى العريق الذى تحول إلى منطقة عشوائية مكتظة بالسكان، ولم يبالوا بما أصاب أسره الفقيرة من ويلات التشتت والفقدان. وصدرت الأوامر بانتقالهم إلى مخيمات للإيواء لحين الانتهاء من بناء شقق صغيرة لهم فى مساكن تضمهم جميعًا. ومضت عدة سنوات وتحول الحى العريق من منطقة عشوائية إلى تجمع راقٍ مليء بالأبراج الشاهقة التى لا يسكنها سوى الأثرياء وعلية القوم، ولا يجرؤ أحدٌ من البسطاء أو الفقراء على الاقتراب من أسوارها العالية، ولا يطمح فى دخولها إلا كعاملٍ أو خادمٍ أو سائق. وبينما ظل سكان الحى الأصليون يقيمون فى مساكن الإيواء التى انتقلوا إليها من المخيمات، ويعانون من نقص الخدمات الفوقية وانعدام البنى الأساسية التحتية، كان الأثرياء الجدد يتنعمون بكامل سبل العيش المُرفه فى الحى الذى انمحت معالمه القديمة، وتشتت سكانه، واختلفت صورته، وتبددت ذاكرته، وتبدلت ذكراه وذكرياته.

وخرج ذات يوم رجل الأعمال الفاحش الثراء على الفقراء من قاطنى الأحياء المجاورة لتجمع أبراج الصفوة المسورة هذه، ليعلن لهم أن مصيرهم سيكون مثل مصير من سبقهم، وأن عليهم إخلاء مساكنهم القديمة لينتقلوا

إلى مساكن جديدة فى مناطق أخرى بعيدة، حتى يتم التوسع فى منطقة الصفوة الحديثة والتى ضاقت أسوارها على ساكنيها.

ومثلما قبِل الفقراء بالأمس أمر الإخلاء بتسليمٍ وإذعان، قبِل جيرانهم فقراء اليوم نفس الأمر بنفس الخضوع ونفس الاستسلام، فيما عدا قلة منهم وقفوا يهتفون ويعترضون ويرفضون الخروج معتصمين فى منازلهم، فكان مصيرهم أن دفنوهم تحت أنقاض مساكنهم، ثم نقلوا أشلاءهم مع ما نقلوه من ردم البنايات القديمة المتهالكة إلى مناطق النفايات فى الصحراء البعيدة الشاسعة.

وبعد شهورٍ قليلة أقيمت الاحتفالات ودقت الطبول ابتهاجًا بافتتاح توسعات تجمع الصفوة وأبراجه الشاهقة، ونُثِرت باقات الزهور فى كل مكان داخل الأسوار، باستثناء باقة زهور واحدة آثر صاحب الأبراج الجديدة أن يحملها إلى الفقراء الذين طُردوا من حيهم القديم، ليقدمها لهم وهو يخبرهم أمام وسائل الإعلام أنه سوف يوفر لهم فى المستقبل القريب ما عكفوا على المطالبة به منذ سنوات من أساسيات الحياة الكريمة التى حُرموا منها، بعدما أمِروا بالخروج من ديارهم والرحيل عنها وعن ماضيهم بلا عودة أو بقايا ذكرى.